مقارنة

فى سبيل إصلاح الأزهر

للأستاذ محمد يوسف موسى

لست فى حاجة للقول بأن الأستاذ الجليل الزيات قد أحسن كثيراً بفتح باب مسألة إصلاح الأزهر ؛ فتلك صيحة يدرك مداها البعيد وأثرها الكبير الأزهريون أنفسهم والذين يلابسونهم ويمشون أنديتهم ومجالسهم . وكان من آثارها الظاهرة ما قرأناه من كلمات ثائرة على الماضى وما ضم بين أطوائه ، وأخرى هادئة رزينة يعد صاحبها بصره قبل أن ينقل قدمه عالماً أنه لا جديد لمن لا قديم له ، ولا مجد لمن يتنكر لماضيه كله . ولعل أهم ما لفت النظر واسترعى الانتباه خاصًّا بهذا الأمر فى عدد الرسالة الماضى رقم ٨٥٣ كلمة الأستاذ المعروف محمود الشرقاوى . فقد تناول الموضوع بأناة ورفق شأنه فى أمره كله ، ونظر إلى الأزهر باعتباره وحدة من وحدات الثقافة العالية فى مصر والعالم الإسلامى ، وذلك شأن الباحث الذى لا يغفل عند بحثه الظروف والملابسات وسائر العوامل البيئية

ليس منا من لا يرجو مخلصاً أن يكون الأزهريون ، طلاباً وعلماء ، مُثُلاً عالية لما يجب أن يكون عليه رجل الدين الذى يعرف واجبه ويؤديه كاملاً ، لا يرجو عليه جزاء ولا شكوراً إلا إرضاء ضميره وإحساسه بأنه رجل يحترم ما فيه من الإنسانية والرجولة . وليس منا من لا يعترف — ولو بينه وبين نفسه — بأنه دون الوصول لهذا عقبات ليس من السهل تذليلها فى هذه الأيام ، لعوامل لا يخفى أمدها ، إلا إذا عمل كل فرد منا — بتكميل نفسه — على أن يكون من عمال الإصلاح فى ظاهر أمره وخافيه قبل أن ينادى به : فيساير النهضة العلمية ، ويعرف أبواب المكاتب الخاصة والعامة ، ويتعرف أحوال إخوانه المسلمين والشرقيين ليحس آلامهم ويفهم آمالهم ؛ وبكلمة واحدة يعيش فى هذا العصر لا فى العصور الخوالى وحدها . بذلك يستطيع أن يضع لبنة فى بناء الأزهر الجديد على ما يود المصلحون الغيورون

ولكن هل أمن العدل أن ننعى على الأزهر وحده تخلفه أو تريثه فى طريق الإصلاح ، وأن نقارن بينه وحده وبين أمثاله من جامعات أوربا فنخلع عليه ثوباً قاتماً بغيضاً يصرف عنه النفوس ؟ من الحق كما يقول الأستاذ الشرقاوى إن أردنا أن نقارن بين الأزهر وجامعات أوربا ، ألا ننسى أنه فى مصر التى لم تبلغ بعد شأو أوربا فى كثير من النواحى الاجتماعية والثقافية ، كما لم يبلغ مترعمو الحركة الفكرية هنا مبلغ رجالات العلم والفكر هناك . وإنى سأكتفى اليوم بذكر مثال واحد لعل فيه عظة وعبرة ، ولعله يكون حجزة دون من يود بجدع الأنف أن يمحى الأزهر من الوجود فلا يصبح له ذكر إلا فى التاريخ

عند ما كنت بباريس فى الصيف الماضى رأيت أن أتصل بعض علمائها النابهين فى الدراسات الإسلامية الفلسفية ، فبدأت بالأستاذ ماسِّينْيون وهو من نعلم علماً ومكانة هناك ومن يفخر كبار خريجى جامعة باريس بالأخذ عنه والاتصال به . تفضل واستقبلنى فى مكتبه الخاص بمنزله ، وأعطانى من وقته الثمين أكثر من ساعتين ضاعتا فى حديث علمى رفيع ونصح وتوجيه وإرشاد بينما طلابه العديدون وعارفو فضله فى الانتظار ، وخرجت على أن أعود مرات أخرى . وما كان أشد عجبى

الآن وقد عدت إلينا — وشتان بين العودتين — عدت إلينا مثلاً حياً وفكراً دائماً

فإليك تحية الوطنيين

إليك أيتها القوة الوطنية التى رفعت رأس مصر عالياً

إلى العزيمة المصرية التى أضحى بها مجد الوطنيين حالياً

إلى القدام البصير الذى أغلى قدر وطنه فأمسى فى الأقدار غالياً

إليك أيها المجاهد تحية أمتك أولاً وآخراً

وإنك لحى دائماً بذكراك — حى بآثارك — حى فى وطنك الذى يبكيك وتاريخه الذى يذكرك ويناجيك — حى بمواقف الصدق التى وقفتها ووطنيتك الصادقة وجهودك التى ضحيت لوطنك بها وبذلتها

ليحى ذكرك الذى لم يكد يخرجك لنا من الدنيا جسماً هامداً حتى أرجعك إلينا فكراً خالداً

وليحى ذكراك حياة تكافىء جهادك المضنى فى سبيل الحياة

زوار صاوى محمد